Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من قصيدة أبي تمام التي يمدح فيها الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد والتي نظمها بمناسبة احتلال جيوش الخليفة لمدينة عمورية البيزنطية سنة ٨٣٨ م: (٣١ ـ ٤٠، ٥٨):

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يعتقد أن هذه النثرية تدمر المستوى الأسلوبي الواحد للقصيدة، إلا أن هذا هو نثرية من وجهة النظر المعاصرة. يتصور أبو تمام وأي شاعر آخر من معاصريه أن هذه الكلمة تنتمي إلى أرفع مستوى في المفردات، إذ إنها عنصر رفعه إلى درجة المفردات «الرفيعة» التقليد العربي «القديم»، وهكذا لا نجد أي عنصر مدمر للمستوى الأسلوبي للقصيدة، وهكذا حتى آخرها. في أي مدح، وبغض النظر عن التمايزات المحكومة بدرجة مهارة وموهبة الشاعر وتمكنه من وسائل التصوير التقليدية، نرى أن هناك وحدة أسلوبية تمتد على طول القصيدة أو على امتداد المدح بالذات، الذي قد يسبق الوصف أو الغزل:

تضاحكَتْ أن رأت شيباً تفرَّعني كأنها أبصرتْ بعضَ الأعاجيب
من نسوةٍ لبني ليث وجيرتهم بَرَّحن بالعَين من حُسْنٍ ومن طيب
فقلتُ إن الحواريّاتِ مَعْطَبَةٌ إذا تَفَتَّلْنَ من تحتِ الجلابيبَ
يدنون بالقول، والأحشاءُ نائيةٌ كدأب ذِي الضِّغْنِ من نأي وتقريبَ
يا أيها الرّاكبُ المُزجي مطيَّتَه يريدُ مجمعَ حاجاتِ الأراكيب
إذا أتيتَ أميرَ المؤمنين فقُل بالنُصح والعلم، قولاً غير مكذوب[1]

(٢٣ ـ ٩٣)

(١) تفرَّعَني: علاني، برح به: آذاه أذى شديداً، الحواريات: النساء الحضريات، معطبة: مهلكة، تفتّلن: تلوين. الأراكيب: جمع ركب، أي ركبان الأبل.